

تفسير ابن كثير

ثم أقسم الخليل قسما أسمع به قوم ليكيدين أصنامهم أي ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين أي إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه قال السدي : لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه : يا بني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال : إني سقيم فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون : مه فيقول : إني سقيم فلما جاز عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال : { تـا } لأكيدين أصنامكم { فسمعه أولئك وقال ابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا : يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال : إني سقيم وقد كان بالأمس قال : { تـا } لأكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين { فسمعه ناس منهم .

وقوله : { فجعلهم جذاذا } أي حطاما كسرهما كلها إلا كبيرا لهم يعني إلا الصنم الكبير عندهم كما قال : { فراغ عليهم ضربا باليمين } وقوله { لعلمهم إليه يرجعون } ذكروا أنه وضع القدم في يد كبيرهم لعلمهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها { قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين } أي حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها وعلى سخافة عقول عابديها { قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين } أي في صنيعه هذا { قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم } أي قال من سمعه يحلف إنه ليكيدينهم : سمعنا فتى إبراهيم شابا يذكرهم يقال له إبراهيم قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية { قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم } .

وقوله { قالوا فاتوا به على أعين الناس } أي على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرا ولا تملك لها نصرا فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟ { قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا } يعني الذي تركه لم يكسره { فاسألوهم إن كانوا ينطقون } وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد .

وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى

اﻟﻤﻮﺩﻩ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻝ : [ﻳﻦ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻟﻢ ﻳﻜﺬﺏ ﻏﻴﺮ ﺛﻼﺙ : ﺛﻨﺘﻴﻦ ﻓﻲ ﺫﺍﺕ ﺍﻟﻤﻮﺩﻩ ﻗﻮﻟﻪ : { ﺑﻞ ﻓﻌﻠﻪ ﻛﺒﻴﺮﻫﻢ ﻫﺬﺍ } ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﺇﻧﻲ ﺳﻘﻴﻢ } - ﻗﺎﻝ - ﻭﺑﻴﻨﺎ ﻫﻮ ﻳﺴﻴﺮ ﻓﻲ ﺍﺭﺽ ﺟﺒﺎﺭ ﻣﻦ ﺍﻟﺠﺒﺎﺑﺮﻩ ﻭﻣﻌﻪ ﺳﺎﺭﻩ ﺇﺫ ﻧﺰﻝ ﻣﻨﺰﻻ ﻓﺄﺗﻰ ﺍﻟﺠﺒﺎﺭ ﺭﺟﻞ ﻓﻘﺎﻝ : ﺇﻧﻪ ﻗﺪ ﻧﺰﻝ ﻫﻪﻧﺎ ﺭﺟﻞ ﺑﺄﺭﺽﻚ ﻣﻌﻪ ﺍﻣﺮﺁﻩ ﺍﺣﺴﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﺇﻟﻴﻪ ﻓﺠﺂ ﻓﻘﺎﻝ : ﻣﺎ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻤﺮﺁﻩ ﻣﻨﻚ ؟ ﻗﺎﻝ : ﺍﺧﺘﻲ ﻗﺎﻝ : ﻓﺎﺫﻫﺐ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﺑﻬﺎ ﺇﻟﻲ ﻓﺎﻧﻄﻠﻖ ﺇﻟﻰ ﺳﺎﺭﻩ ﻓﻘﺎﻝ : ﻳﻦ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺠﺒﺎﺭ ﻗﺪ ﺳﺄﻟﻨﻲ ﻋﻨﻚ ﻓﺎﺧﺒﺮﺗﻪ ﺃﻧﻚ ﺍﺧﺘﻲ ﻓﻼ ﺗﻜﺬﺑﻨﻲ ﻋﻨﺪﻩ ﻓﺈﻧﻚ ﺍﺧﺘﻲ ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺏ ﺍﻟﻤﻮﺩﻩ ﻭﺇﻧﻪ ﻟﻴﺲ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺭﺽ ﻣﺴﻠﻢ ﻏﻴﺮﻱ ﻭﻏﻴﺮﻙ ﻓﺎﻧﻄﻠﻖ ﺑﻬﺎ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﺛﻢ ﻗﺎﻡ ﻳﺼﻠﻲ ﻓﻠﻤﺎ ﺃﻥ ﺩﺧﻠﺖ ﻋﻠﻴﻪ ﻓﺮﺁﻫﺎ ﺃﻫﻮﻯ ﺇﻟﻴﻬﺎ ﻓﺘﻨﺎﻭﻟﻬﺎ ﻓﺄﺧﺬ ﺃﺧﺬﺍ ﺷﺪﻳﺪﺍ ﻓﻘﺎﻝ : ﺍﺩﻋﻲ ﺍﻟﻤﻮﺩﻩ ﻟﻲ ﻭﻻ ﺃﺯﺭﻙ ﻓﺪﻋﺖ ﻟﻪ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﻓﺄﻫﻮﻯ ﺇﻟﻴﻬﺎ ﻓﺘﻨﺎﻭﻟﻬﺎ ﻓﺄﺧﺬ ﺑﻤﺘﻠﻬﺎ ﺃﻭ ﺃﺷﺪ ﻓﻔﻌﻞ ﺫﻟﻚ ﺍﻟﺜﺎﻟﺜﻪ ﻓﺄﺧﺬ ﻓﺬﻛﺮ ﻣﺘﻞ ﺍﻟﻤﺮﺗﻴﻦ ﺍﻟﺄﻭﻟﻴﻴﻦ ﻓﻘﺎﻝ : ﺍﺩﻋﻲ ﺍﻟﻤﻮﺩﻩ ﻓﻼ ﺃﺯﺭﻙ ﻓﺪﻋﺖ ﻟﻪ ﻓﺄﺭﺳﻞ ﺛﻢ ﺩﻋﺎ ﺃﺩﻧﻰ ﺟﺎﺑﻪ ﻓﻘﺎﻝ : ﺇﻧﻚ ﻟﻢ ﺗﺄﺗﻨﻲ ﺑﺈﻧﺴﺎﻥ ﻭﻟﻜﻨﻚ ﺃﺗﻴﺘﻨﻲ ﺑﺸﻴﻄﺎﻥ ﺃﺧﺮﺟﻬﺎ ﻭﺃﻋﻄﻬﺎ ﻫﺎﺟﺮ ﻓﺄﺧﺮﺟﺖ ﻭﺃﻋﻄﻴﺖ ﻫﺎﺟﺮ ﻓﺄﻗﺒﻠﺖ ﻓﻠﻤﺎ ﺃﺣﺲ ﺇﺑﺮﺍﻫﻴﻢ ﺑﻤﺠﻴﺌﻬﺎ ﺍﻧﻔﺘﻞ ﻣﻦ ﺻﻼﺗﻪ ﻭﻗﺎﻝ : ﻣﻬﻴﻢ ؟ ﻗﺎﻟﺖ : ﻛﻔﻲ ﺍﻟﻤﻮﺩﻩ ﻛﻴﺪ ﺍﻟﻜﺎﻓﺮ ﺍﻟﻔﺎﺟﺮ ﻭﺃﺧﺪﻣﻨﻲ ﻫﺎﺟﺮ] ﻗﺎﻝ ﻣﺤﻤﺪ ﺑﻦ ﺳﻴﺮﻳﻦ : ﻓﻜﺎﻥ ﺃﺑﻮ ﻫﺮﻳﺮﻩ ﺇﺫﺍ ﺣﺪﺙ ﺑﻪﺫﺍ ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻗﺎﻝ : ﺗﻠﻚ ﺃﻣﻜﻢ ﻳﺎ ﺑﻨﻲ ﻣﺎﺀ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ